

حج الحياة الحقيقية في الله في موسكو ، 2-10 أيلول 2017

كيف نبني الجسور بين انقساماتنا ونحقق السلام في العالم؟

المطران سمعان عطاالله

راعي أبرشية بعلبك – دير الأحمر والبقاع الشمالي المارونية سابقًا، لبنان
رئيس اللجنة الاسقفية للعلاقات المسكونية سابقًا

بناء الجسور

"يعيشُ الجنسُ البشري اليومَ طوراً جديداً من تاريخه يتميّزُ بتغييراتٍ عميقةٍ وسريعةٍ تمتدُّ رويداً رويداً إلى الكرة الأرضية بأسرها." (المجمع الفاتيكاني الثاني، فرح ورجاء، Gaudium et spes ، توطئة).

من جهتها، تسعى الكنيسة أن تكون شريكاً موثقاً به في المجتمع، بدلاً من أن يكون دورها محصوراً فقط كسلطةٍ تبارك وتراقب. في الواقع، ترغب الكنيسة، من خلال مواقفها الحوارية البناءة، أن تشارك في البحوث العديدة عن الغاية (recherches de sens). بالفعل، يجب على لغة الإيمان، في كافة طرق تعبيرها، أن تأخذ بعين الاعتبار حقيقة التحولات الاجتماعية والثقافية. (المرجع نفسه، فرح ورجاء). من جهته، يريد مرصد "الإيمان والثقافة" التابع لمجلس الكنائس المسكوني، أن يكون مكاناً تنمّي فيه الثقافة حوارها مع الإيمان في أيّامنا.

تدعو الكنيسة جميع مؤمنينا للالتزام الفعليّ بالحوار بين الأديان. هذا الحوار، بين المسيحيين والمؤمنين من الأديان الأخرى، من زاوية معيّنة، غير موجودٍ. في الواقع، فإنّ الطابع الخاص بكل حوارٍ، يسمح لنا أن نضع المبادئ الأساسية لكل حوارٍ وأن نقيس متطلباته.

إذا ألقينا نظرة سريعة على الذي جرى، ويجري في الأوساط الدينية، خاصةً في السنوات الأخيرة، نجد أن عددًا متزايداً من المؤمنين من مختلف الأديان قد تلاقوا، ربّما بالصدفة، ليس فقط في البلدان البعيدة ولكن خاصةً في الشرق الأوسط وأوروبا.

هناك ملاحظة ضرورية: فبفضل وسائل الإعلام، من المستحيل عدم الإدراك، بأنّ المسيحية، وبالرغم من أنّها لا تزال الدين السائد في الغرب، هي على مستوى العالم، ليست سوى دين بين الأديان الأخرى. في الواقع، حيث لعبت الأديان الأخرى الدور نفسه، لا تُشكل الجماعات المسيحية سوى أقلية صغيرة.

في هذا الإطار، أدركت الكنيسة أهمية إقامة العلاقات، بطريقة مشتركة، مع مختلف الأديان (مراجعة "الإعلان حول علاقات الكنيسة مع الأديان غير المسيحية). تحتاج سياسة الحوار هذه أن تتبنى، على الأقل، بعض المبادئ الأساسية التي تسمح ببناء جسور بين الشعوب، مهما كانت ديانتهم.

1- إن الذي يرغب في بناء جسور تواصل، أو بالأحرى، حوار مع الآخر، كل آخر، عليه أولاً، أن يَكُنَّ احتراماً عميقاً وصادقاً لمحاورة، مهماً يكن. علينا أن نعترف بحقه المطلق بالاختلاف. وينبغي، في الوقت نفسه، أن نسمح لهذا الاختلاف أن يؤثر فينا.

إذا كان صحيحاً أنه يجب أن ندع الآخر يستوجبنا، فمن المنطق أيضاً أنه يجب أن نكون مستعدين لاستجوابه. عدم القيام بذلك يعني قلة احترام تجاه الآخر، وهذا الاحترام هو أساس الحوار نفسه. في الحقيقة، عندما لا يتمتع شركاء الحوار بالقوة اللازمة للاستجواب المتبادل، يمكننا أن نطرح بعض الأسئلة عن هوية لقائهم.

لذلك:

(أ) نحن مدعوون بشدة لاحترام الرجل الذي يواجهنا ولاحترام دينه. ومع هذا، يجب الاعتراف بأنه في إطار حوار الأديان، إذا لم نجهد بأن نفهم، بقدر المستطاع، دين الآخر، لن نستطيع أن نحترمه بصدق.

(ب) يجب على هذا الاحترام أن يكون مبنياً على أسس لاهوتية (فقهية) واثنوبولوجية. يجب على المسيحي أن يتمكن من التفسير لنفسه، وإخوته وأخواته المسيحيين، كما ولمحاوريه، لماذا وكيف يمكنه البقاء أميناً، بشكل كلي، للإيمان المسيحي ويتمتع بالوقت نفسه باحترام عميق للأديان الأخرى.

2- لا يجب أن نردل شيئاً مما هو حق ومقدس في الديانات الأخرى (الأقلمة "Inculturation"، المجمع الفاتيكاني الثاني، بيان "في عصرنا" Nostra aetate، 2)

"على كل مسيحي أن ينظر بعين الإحترام والصرامة الى تلك الطرق، طرق المسلك والحياة، والى تلك القواعد والتعاليم التي غالباً ما تحمل شعاعاً من تلك الحقيقة التي تنير كل الناس، بالرغم من أنها تختلف في كثير من النقاط عن تلك التي تتمسك بها الكنيسة نفسها وتعرضها." ("في عصرنا" Nostra aetate، 2)

بالطبع، ليست الديانتين الاسلاميه واليهودية مهملتين في بيان "في عصرنا". على العكس، وبسبب الروابط الخاصة التي تربطها بالكنيسة والتي تنبع من تجدر التقاليد الثلاثة

في إيمان إبراهيم، وتعلّقها بالله الواحد، يَحْتِ المجمع المسيحيين، والمسلمين واليهود أن يبذلوا جهدهم لفهم متبادلٍ أعمق.

في خلال مناقشاتهم عن حوار الأديان، اختار آباء المجمع أن يتكلّموا بأنفسهم عن إدراك الشعوب "لتلك القوة الخفية الساهرة على مجرى الأمور وحوادث الحياة الإنسانية"، وهذا يشمل الديانات التقليدية، والهندوسية، والبوذية، والإسلام واليهودية. من الجيد أن نطلب من مُنثلي تلك الديانات أن يرسموا لنا صورةً مختصرة عن الديانات المذكورة أعلاه.

الخلاصة: إن حوار الأديان هو رسالة المسيحية.

في إحدى المحاضرات - حلقة نقاش بعنوان: ديانات في حوار، حلّ معلّم اللاهوت وتاريخ الأديان في المعهد الكاثوليكي في باريس، موقف الديانات الكبرى تجاه المسيحية وموقف المسيحية تجاه تلك الديانات الكبرى (الهندوسية، البوذية، اليهودية، الإسلام، وديانة الصين). في تحليلهم لكلمة "حوار"، أولاً وبعد التزام الكنيسة بهذا الحوار، رأى هؤلاء المعلّمون بأن هذا الالتزام كان يُفسّر غالباً، من قِبَل الذين تتوجّه إليهم الكنيسة، بكونه طريقة جديدة، وخفية تماماً، للتبشير.

بالنسبة لنا، يقع على عاتقنا العمل بأن يُنظر إلى حدث حوار الأديان على أنّه دعوة المسيحية. في الواقع، إنّ ضرورة هذا الحوار الملحة تنبع من الرؤية المسيحية للإنسان، للإيمان بيسوع المسيح، كلمة الله المتجسّد، ومن عمل الروح القدس. في العمق، إنّ الالتزام بحوار الأديان يعني المسيحيين بشكل خاص. فهو ينتمي إلى دعوتهم الخاصة ويجب أن يندمج في حياتهم الروحية. فعلى المسيحيين أن يظلّوا دائماً متواضعين أمام سرّ المسيح وجاهزين للانفتاح على الحدس الروحي للآخرين، حتى يتمكّنوا من أن يلجوه بطريقة أفضل. عندما يلتزم المسيحيون بصدق في حوار الأديان، يستطيع هذا التواضع أن يشع ليصبح الشهادة الأفضل للاحترام الذي يكتونه بالفعل لسرّ الله وطبعاً لسرّ الإنسان. على ضوء هذا النهج، يمكننا القول، بدون شك، أنّ الالتزام بحوار الأديان هو جزء لا يتجزأ من الدعوة التي يحصل عليها كلّ مسيحي في لحظة عماده. إنّ دعوة المسيحي، وبناء على ذلك، دعوة كل إنسان، تتمثّل ببناء جسرٍ بين البشر لنشر التضامن وتعميم السلام من خلال حبّ خالق العالم وحب القريب، وهو مواطن الكرة الأرضية. في الواقع، يمتلك كل شخص عمقاً لا يستطيع أن سبره بكليته سوى الله. إنكار ذلك يتنافى مع ما يُشكّل، في الإيمان المسيحي، كرامة الإنسان. للأسف، إنّ علاقتنا اليومية مع الآخر نادراً ما تعكس هذه الحقيقة.

تحت الكنيسة، في المجمع الفاتيكاني الثاني، جميع أبنائها، "على أن يعرفوا ويصنّوا ويعززوا تلك الخيوط الروحية والأدبية، وتلك القيم الاجتماعية والثقافية الموجودة لدى الديانات الأخرى، وذلك بالحوار والتعاون مع إتباع هذه الديانات بفضة ومحبة" ("في عصرنا" Nostra

2). في رسالته العامّة، "رسالة الفادي" Redemptoris Missio، يُصرّ القديس البابا يوحنا بولس الثاني، على القيمة الدائمة للمبدأ الرسولي، الذي يتدفّق من المعمودية، ويقول: "المؤمنون جميعهم والجماعات المسيحية كلّها مدعوون إلى ممارسة الحوار، حتى إنّ لم يكن على المستوى نفسه وتحت أشكال متماثلة. وإنّ اسهام العلمانيين في هذا الحوار لضروري: يستطيع المؤمنون، من خلال مثال حياتهم وعملهم، أن يُحسّنوا العلاقات بين أتباع الديانات المختلفة. فضلا عن أن بعض منهم يكون بوسعه الاسهام في البحث والدرس." (رسالة الفادي، Redemptoris Missio ، 57)

+ سمعان عطالله، oam